وخرجنا من مسجد الصخرة ، وافئدتنا مبهورة قبل ابصارنا ، وفي طريقنا الى المسجد الاقصى ، أشار الينا الترجمان الى قبة تلاصق سور الحرم من جهة الشرق ، وقال : هذه قبة الغزالي . هناك كان الغزالي يعطي الدروس لتلامذته حين زار القدس قبل حروب الافرنج ببضعة سنوات . وهناك وضع الغزالي كتابه الشهير احياء علوم الدين.

قلت للترجمان : انت عالم ايضا ، ولست ترجمان فقط ..

قال : والله يا اخي انا من بيت علم . ولكن الزمان حط بنا . لقد تعلمت علوم الدين كلها . والدين لم يعد يعطي خبزا . ولذلك تعلمت صنعة الترجمان وانا اعرف كل اللغات الاجنبية . والسياح لما يأتون الى المسجد انا اترجم لهم . والعجيب ان الواحد منهم يقضي ساعات وساعات يتأمل في محاسن المسجد . وأنتم تخرجون بعد بضعة دقائق .

قلت : نحن طلاب مدارس ، ولا بد أن نعود بسرعة الى مدرستنا .

قال : وفي أي مدرسة ؟

قلت : في مدرسة صهيون .

قال : ولماذا في مدرسة صهيون؟ هذه مدرسة تبشيرية . وليس فيها الا اللغة الانجليزية وكرة القدم . ولماذا لا تنتسبون الى روضة المعارف انها كلية وطنية راقية .

قلت : نحن نريد ان نتعلم اللغة الانجليزية ، ولا نهتم بالكرة .

واتجهنا نحو المسجد الاقصى . واين هو من مسجد الصخرة عمارة وفناء وجمالا ؛ ومع هذا فقد بهرتنا رحابته واعمدته وقناطره . ووقف بنا الترجمان عند المحراب ، والتفت الى المنبر وهو يقول : — هذا هو منبر نور الدين الشهيد ، قضى عمره وهو يجاهد الافرنج ليخرجهم من بيت المقدس . وكان قد أعد المنبر ، وهو في حلب ، وقضى العمال بضعة سنين في زخرفته حتى جاء آية في الجمال ، وقد حرصوا في صنعه ، دون ان يدخلوا فيه مادة من غير الخشب . وقد توفي نور الدين ، والمنبر جاهز في حلب، قبل تحرير بيت المقدس . وجاء من بعده صلاح الدين فتم على يديه طرد الافرنج من بيت المقدس ، وأمر صلاح الدين فنقل منبر نور الدين من حلب وركب في مكانه في المسجد الاقصى . وهو كما ترونه الان .

وكان المنبر حقا تحفة رائعة في جمال الفن ، ودقة الصنعة ، اضافت عليه سيرة نور الدين وصلاح الدين هالة قدسية رفيعة ، تجللها امجاد النصر . وهل بعد النصر من امجاد .

وخرج بنا الترجمان من ساحة المسجد الاقصى عبر بوابات يفضي بعضها الى بعض ، وزقاقات معتمة الى اخرى مضيئة ، والتعب قد أخذ منا مأخذه ، وعرج بنا الترجمان الى مطعم صغير ، فكان اول عهدنا بالمآكل القدسية ، فالتهمنا اطباق اللحم والارز والباذنجان البتيري نسبة الى بتير احدى قرى القدس ؛ واتبعناها بحلوى « زلاطيمو » نسبة الى صاحبها الذي اشتهر بصنعها ؛ ولم يكن الطعام فاخرا ، ولا الحلوى ممتازة ، ولكن مع التعب والجوع والصبا التهمنا الطعام بشهية لاهبة . وتركنا الصحون خاوية خالية .

ومن المطعم ، انصرفنا في الشوارع من حي الى حي . الى ان بلغنا حارة النصارى وكانت تنبيء عن ذاتها شكلا ، وموضوعا . فقد كانت معظم الدكاكين فيها تعج بالسياح يشترون التماثيل والصلبان . وكانت الشموع تتدلى من سقوفها ، بأحجام مختلفة والوان متباينة . وكان بخور الكنائس يفوح منها ليملأ الازقة من حولها .